

حرب ما بعد الحرب من خلال فيلم جوانا حاجي توما وخليل جريج الذي يجوب المهرجانات منذ شهر

# «يوم آخر» شريط ماضٍ لبناني لا يمضي وأسئلة حائرة عن آلاف المخطوفين

□ بيروت - فيكي حبيب

■ بين ثقل الماضي والرغبة في استمرار الحياة يتخبط بطلا جوانا وخليل جريج في فيلمهما الأخير «يوم آخر».

بين جيلين تدور الكاميرا خلال ٢٤ ساعة من عمر عائلة، هي في طريقها اليوم، في هذا اليوم الآخر، لاتخاذ قرارها الكبير. قرار من شأنه أن يحذف اسم الزوج الأب من عالم الأحياء وينقله الى عالم الأموات. ١٥ سنة مرت على اختطافه والنبا السعيد بعودة الغائب لم يصل ابداً... ومع هذا على الحياة ان تستمر.

«يوم آخر» ربما يكون بداية النهاية. نهاية الأمل والتسليم بالأمر الواقع مع «شخطة» قلم صغيرة. لكنه من دون شك يوم تساق حافل بالألم والتردد.

كل دقيقة من الـ ٢٤ ساعة التي يصورها الفيلم، يعيشها المشاهد مع بطليه كلوديا (جوليا قصار) ومالك (زياد سعد)، بعينها وضغطها. كل دقيقة تختزن غضب السنوات الماضية من دون جدوى.

تعابير وجهه بطلتنا. صمتها. حزنها. فسوتها. ترددها. خوفها... لا تتعد كثيراً عن تلك الوجوه التي ننقلها إلينا الشاشة الصغيرة يوماً من خيمة المخطوفين وسط بيروت. وجوه النسوة المعلقة بخيط أمل بعيد المفقود.

سبعة عشر الف مخطوف لا يعرف نوبهم إن كانوا بين الأحياء أو الأموات. عشرة منهم كرمهم الجيش اللبناني الأسبوع الماضي بعد تحديد مصيرهم، واكتشاف رفاتهم في مقبرة جماعية. هذا في نشرات الأخبار أما في الفيلم فبطلتنا لا تعرف مصير زوجها. استحقاق النهار - توقيع وثيقة الوفاة - يرهقها.

ابنها يبدو أقل تردداً منها. يريد أن ينتهي من الماضي الذي يكبله. يريد أن يفتح صفحة جديدة. يريد أن يحيا... لكن كل شيء من حوله يتدهور. علاقته بصديقه تتدهور. صحته تتدهور. نوبات النوم الفجائية التي تصيبه تتفاقم في كل مكان... في الملاهي، عند إشارات المرور، على الكورنيش... بطلان سليمان، كل على طريقته، يقتربان ثم يبتعدان... ما يضع جيل الأباء في مواجهة مع جيل الأبناء... مواجهة أرادها مخرجا الفيلم، صامته بين جيل عاش الحرب، أو صنعها (ربما)، وجيل يحمل ترسباتها.

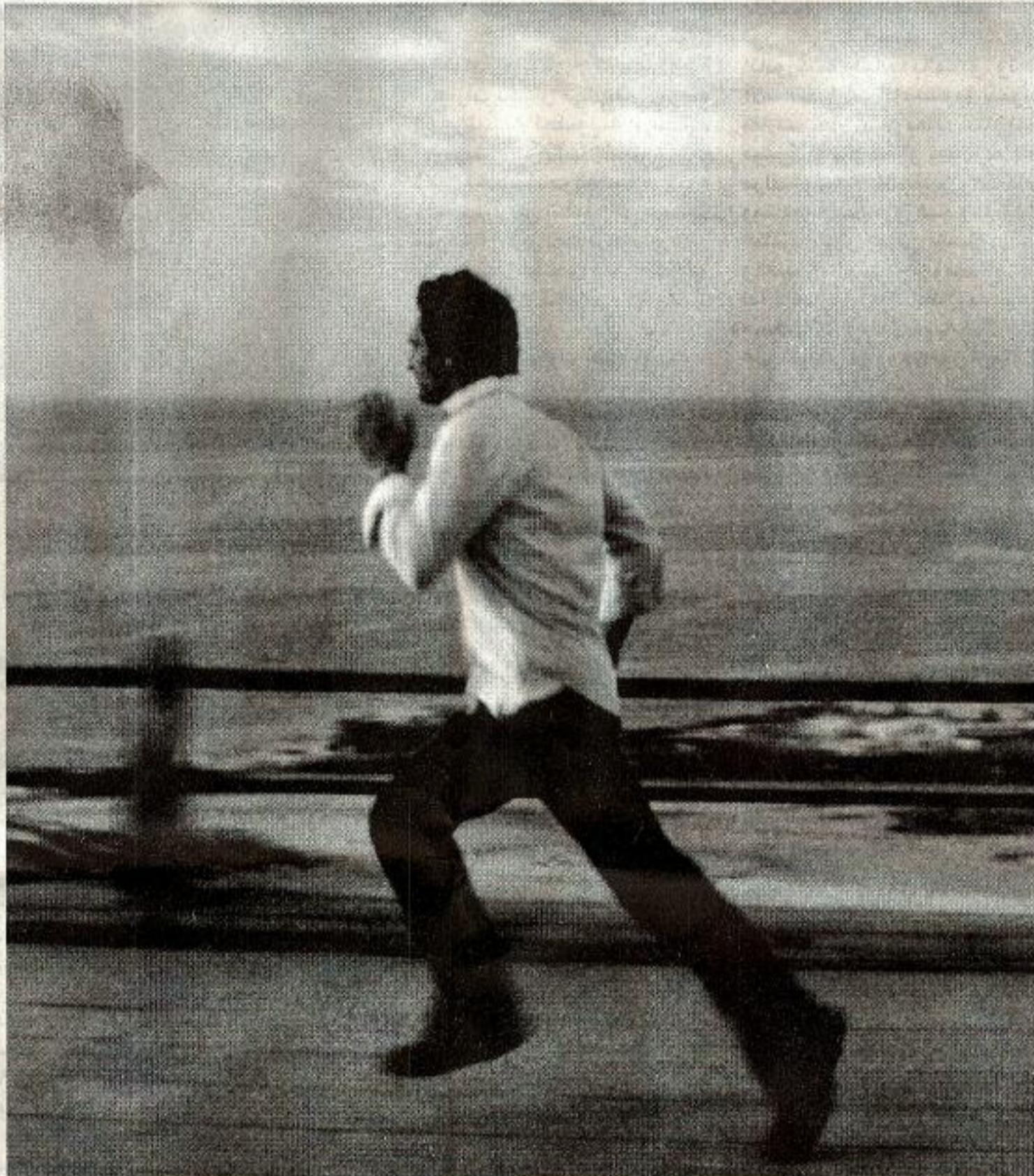
## هستيريا

طبعاً ليس سهلاً ولوج موضوع بهذه الحساسية. ومع هذا لم يكن صعباً على الزوجين الثنائي جوانا حاجي توما وخليل جريج أن يقتحما عالم المخطوفين. هما اللذان ناداهما الى الموضوع واقع عايشاه منذ أواسط الثمانينات بعيد خطف خال المخرج في الحرب. يقول خليل: «اختطافه كان بمثابة الحافز الرئيس لأصنع فيلماً عن المخطوفين. إن عشت تلك اللحظات المرة التي يتكدها أهل المخطوف. والى اليوم لا يزال السؤال عن مصير الـ ١٧٠٠٠ مخطوف يورقني. أين هم؟ هل هم أحياء أم أموات؟ إن كانوا أحياء لماذا لا يعيدونهم سالمين؟ وإن قتلوا، أين رفاتهم؟»

فيلم جوانا وخليل جريج فيلم شخصي يحاول ان ينقل صورة من الواقع. لكنه ليس فيلماً وثائقياً بل عمل درامي.

«لم تكن تريد ولوج الموضوع بشكل وثائقي» تقول جوانا وتتابع: «أردنا أن نقدم هذه القضية بطريقة سينمائية فنية. أردنا أن نقدم فيلماً من الواقع، ونصور الجيل الذي ننتمي إليه. حب السهر، بيروت في الليل، الخمول... باختصار: الحاضر الذي نعيشه بطريقة هستيرية».

وإذا كان «يوم آخر» فيلماً عن الحاضر، فالحرب لا تغيب عنه. لكنه مع هذا ليس فيلماً عن الحرب، وإن كانت الحرب تشكل خلفية أحداثه: الأب المخطوف، الخوف من توقف الحياة فجأة، وبالتالي استغلال كل



... وجوليا قصار

زياد سعد في لقطة من الفيلم

كلوديا (جوليا قصار)، امه التي لا يشعرها أي شيء بالعزاء، وتتسم بحب امتلاك قاس، فإنها لا تتوقف عن ضحك هاتفه المحمول بمكالماتها المستجوبة. ومالك، المصاب بنوع خاص من الداء العصبي، ليس حتى وانقا من ان في الإمكان الحديث عن يوم ما (...). وإذا كان جوانا وخليل جريج قد عنوانا فيلمهما الرابع «يوم آخر» (الترجمة بالفرنسية هي «يوم

وحيدة في العمل السينمائي» من قال ان علي أن اعتبر مشاهدي سلبياً وبالتالي يتوجب علي أن أشرح له كل شاردة وواردة؟ في عملنا نريد ان نشرك المشاهد معنا، نريد ان نبني معه علاقة مختلفة. والإيقاع المعتمد هو الذي يعزز هذا الأمر».

وإذا كان الفيلم مختلفاً في إيقاعه عن الأفلام العربية التي عهدنا الجمهور، فإنه أيضاً مختلف في طريقة إدارة مثليه. تقول جوانا: «أردنا أن نضفي على العمل عنصر المفاجأة، فلم نعط الممثلين السيناريو. طبعاً ممثلة قديرة كجوليا قصار لم يكن سهلاً إقناعها بهذا الأمر، لكنها في النهاية خاطرت ووثقت بما نفعله. علماً اننا لم يكن لنا معها أي تجارب سابقة».

ويبدو ان ثقة جوليا قصار كانت في محلها، خصوصاً ان العمل جال في المهرجانات العالمية، وحصد الجوائز، وكتبت عنه الصحافة الغربية. حتى ان مجلة «كاييه دي سينما» الفرنسية المتخصصة في شؤون النقد، أفردت له صفحتين من عددها الأخير. في واحد من مقالين ضمهما الملف قالت المجلة: «للوهلة الأولى، وكما في الفيلم الياباني الذي عرض في باريس الشهر الفائت في عنوان «ثنائي متكامل»، ليس في هذا اليوم الذي يدور في بيروت ما هو كامل على الإطلاق. فالشاب مالك (زياد سعد) لا يتمكن هنا من استعادة صديقته السابقة زينة (الكسندرا قهوجي)، حتى وإن كان في مرتين على الأقل قد اعتقد أنه دنا من ذلك. ذلك ان عليه أولاً ان يجهز الإقرار الرسمي بموت والده، الذي كان اختفى مثله ١٧ الف شخص آخر خلال الحرب اللبنانية، اختفاء لا تفسير له، أما

دقيقة تمر. تقول جوانا: «طبعاً الحرب موجودة في فيلم بصور الحاضر في لبنان، طالما اننا لم نستطع حتى اليوم الخروج منها. لكن الفيلم ليس عن الحرب، بقدر ما يصور آثارها. فانا مثلاً في كل مرة أعود فيها الى بيروت يتغير نمط حياتي بالكامل، وأصبح في حاجة الى السهر، فلا أفوت أمسية، على عكس ما أعيش في الخارج. ولعل السبب يعود الى الشعور بضرورة الاستفادة من كل لحظة وعدم ترك الوقت يمر هدرًا. وهذا الشعور هو طبعاً من مخلفات الحرب».

## شغل الوقت

الإحساس بالوقت لعبة اراد مخرجا العمل ان يشتغلا عليها في فيلمهما، هما اللذان سعيا لتكون وطاة الـ ٢٤ ساعة (زمن الفيلم) واضحة. يقول خليل: «العالم من حولنا مصنوع بطريقة تجعلنا ننسى الوقت. فالأعباء كثيرة والمغريات كثيرة. لكن الوقت ضيق، وفي السينما عندما يذهب المشاهد ليتابع عملاً ما، يكون في ذهنه انه ذاهب لإضاعة الوقت. من هنا أردنا في هذا الفيلم ان ننقل الى المشاهد ضغط الوقت، ونجعله يشعر بثقل كل دقيقة تمر. فنحن لم نمكث ٣ سنوات في صناعة هذا العمل كي يمر مرور الكرام».

«يوم آخر» فيلم مشغول على الطريقة الأوروبية غير الفرنسية. حوارات قليلة، تركيز على المادة البصرية، على العلاقة بين الجسد والحداثة. وبالتالي لا وجود لأي شروحات، إنما بكل بساطة يترك للمفترج متعة المشاهدة. تقول جوانا: «من قال ان هناك قاعدة

## سيرة سينمائية ووثائقية

■ يعتبر فيلم «يوم آخر» ثاني فيلم روائي طويل من توقيع المخرجين الشابين جريج، بعد تجربة أولى لهما في العام ١٩٩٩ في «البيت الزهر».

ولعل السمة المشتركة بين العملين هي التشابك بين الماضي والحاضر. فإذ الأباء وجيل الأبناء ظاهرة للعلن في الفيلم الأخير، فإن المواجهة بين عقليتين، وأحد من أهم سمات الفيلم الأول.

ولا تقف مسيرة الثنائي السينمائية عند هذين الفيلمين، إنما كانت لهما تجارب منها «الخيام» (٥٢ دقيقة) صور سنة ٢٠٠٠، و«الفيلم الضائع» سنة في ٢٠٠٢. أ. عودة الثنائي الى الأفلام الروائية من خلال فيلم قصير بعنوان «رماد»، رشح لجائزة وعداً عن عملهما السينمائي صمم الزوجان جوانا وخليل معاً أعمال تجهيز في منها: «بيروت تخيلات مدينة» و«بيروت العجيبة».

واللافت في مشوار الزوجين السينمائي، هو دخولهما عالم السينما من حيث الأدب في الجامعة. ثم قادهما الحظ وحده الى السينما، كما يقولان. واليوم لا يكتفيان استاذان محاضرين في جامعة القديس يوسف في بيروت. جوانا مسؤولة عن قسم جماليات الصورة والفيديو التجريبي